المآخذ الشعرية

(تابع ما قبلهُ)

وقال سيار الدينوري في طبيب أكحل

أعمى وأعمى ذا الطبيب بطبهِ وبكحلهِ الأحياء والبصراء
فاذا نظرتَ رأيتَ من عميانهِ أحداً على أمواتهِ مرثاء

فاخذ الرغاري المعنى بقولهِ

اعمى الورى بكحلهِ والموتُ من أصنائهِ
لكثيرٍ(١) من عميانهِ بقرا على امرائهِ

وقال الامير محمد الحكمي من ابيات

وروضة انس بات فيها ابن ايكة يغرّدُ والناي الزخيمُ يشنّفُ
وقد ضمّنا فيها من الليل سابغاً رداهُ بأكناف الغمام مسجّفُ
فظلت عرائس الابار يق بالطلى الى ان بدت كافورة الصبح ترعفُ

قال الخفاجي في الريحانة « وهذا معنىً تصرّف فيهِ وابدع . وادارهُ على المسامع كاس ادبٍ مترع . وممن اجاد فيهِ ابن مرج الكحل الاندلسيّ في قولهِ

ولا عجبٌ ان يسلك الصبح عبرتي فلم يزلِ الكافور للدم مسلكا

وقد قلت انا (صاحب الريحانة) في هذا المعنى ايضاً

وساقٍ في السرور غدا طبيباً له طرف يشير الى التصابي
رأى في الكاس صبّ دمع الحيا فذرّ عليهِ كافور الحباب »

انتهى كلام صاحب الريحانة

وقال الشيخ عبد الباقي العمري البغدادي من شعراء القرن التاسع عشر الماضي :

لما رأيتُ الليل يرعف انفهُ من شمّ كافور الصباح بعندمِ
ارغمتُ مارن مدّعٍ سيئ فولهِ « من عادة الكافور إمساك الدم »

---

(١) في الشوق ضرورة ولو قال : فالحيّ من احبابهِ الخ لخلص من هذه الضرورة وقلت له الضرورة

وروى الخفاجي في الريحانة بعد قوله في رثاء والد وخاله من مرثية :

كأن الليالي غالطتني ولم أكن ... أقدر أن اغتر بالدهر واخبره

فقالت اذا أعطيتك الامن عاجلاً ... من الرزء هل ترضى ففلت فما أجل

فجاءت بفقدي للذين أحبهم ... وقالت هذا كنت اعني فلا تسل

لأني لا أخشى مصاباً بعدهما ... فلله ريب الحادثات وما فعل

ثم قال : وهذا معنى مشهور في كلام فصحاء العرب ولكنني تصرفت فيه مع تسمية النوع تصرفاً يعرف حسنه من ذاق حلاوة الأدب . وفي هذا المعنى يقول الصولي :

كنت السواد لمقلتي ... بكي عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت ... فعليك كنت أحاذر

وفي معناه قول الآخر :

فكل ما كنت أخشى قد أصبت به ... فليس من بعدهم من فائت جزع

وقال آخر :

اعلمت باليأس منه صبراً ... واعتدل الحزن والسرور

فلست ارجو ولست أخشى ... ما أحدثت بعده الدهور

فليجهد الدهر كيف شاء ... فما عسى جهده يضير

وقال الشجع :

فما أنا من رزء وان جل جازع ... ولا بسرور بعد موتك فارح

وقال غيره :

لعمري لئن كنا فقدناك سيداً ... يحق لنا طول التحزن والهلع

لقد جر نفعاً فقدنا لك أننا ... أمنا على كل الرزايا من الجزع

واجتمع محمد النشتاني والخفاجي صاحب الريحانة فانشده هذا قول ناصح الدين الأرجاني :

واذا رأيت العبد يهرب ثم لم ... يطلب فموفى العبد منه هاربه

فقال له النشتاني : من اي معنى أخذ هذا ؟ قال الخفاجي : لا أدري . فقال هو من قول المتنبي :

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ... أن لا تفارقهم فالراحلون هم

فأبدع وأبدع . وأعلم أنه من الأدب بمرأى ومسمع . ومنه اخذ القائل :

ليس ارتحالك ترتاد الغنى سفراً ... بل المقام على بؤس هو السفرُ

والمعنى اخذه من قول النظامي :

وما التفر بالبيد الفضاء بل التي ... تبت بي وفيها ساكنوها في التفرُ

واجتمع محمد بن ابرهيم الفامي بالخفاجي هذا . فأنشده الفامي قوله :

حكيتَ ابليس خَلْقاً ... وصورةً من غَرَرِهْ

يا سائلي عن العمى ... عندي نصفُ خبَرِهْ

فقال له الخفاجي : قد سبقك الى هذا الباخرزي في قوله :

فلا تحسبوا ابليسَ علّمني الخنا ... فاني منهُ بالفضائح أبصرُ

وكيف يرى ابليس معشار ما أرى ... وقد فتحت عيناي لي وهو أعورُ

ويعضده قول الآخر :

رأيتُ اعمى مرةً قائلاً ... يا قوم ما اصعب فقد البصرْ

أجابهُ أعورُ من خلقهِ ... عندي من ذلك نصف الخبرْ

وقال ابن الرومي :

يا لائمي في الراح غير مقصّرِ ... ما زال ذاك سجيةً في الراحِ

فأقلُّ ما في ترك مثلك شربها ... توفيرها وطهارة الاقداحِ

فأخذه محمد بن ابرهيم الفامي وقال :

يا تاركاً شرباً لتهوتنا التي ... تجلو صدى القلب الكئيب العانيْ

في ترك مثلك شربها لي راحةٌ ... توفيرها وطهارة الفجانِ

وقال الأرجاني :

أعد نظراً قما في الخمر ثبتٌ ... حماهُ الله من ريب المنونِ

ولكن راق ماه الخمر حتى ... أراك خيال اهداب الجفونِ

وأخذ المعنى محمد بن ابرهيم الفامي فقال :

يا سالب الغصن لين القدِّ والميلِ ... ومُلبس الشمس ثوب الحزن من خجلِ

ما شانَ خدَّك ثبتٌ بل محا فتراءت في سناهُ خلال الهدب والكحلِ

وقال الخفاجي في ريحانته : ومما يحسن ايراده هنا قول احمد المعري :

قل للرئيس ابي محمد ايدهِ قول امرئ ابلاه حسن بلاه
من حول بركتك الجبهة سادة العلماء والفضلاء وارؤساء
لو انصفوك وهم قياء اشبهت اشخاصهم امثالها في الماء

ومنهُ اخذ الأرجاني قولهُ :

هذا الزمان على ما فيهِ من كدرٍ يحكي انقلاب لياليهِ باهليهِ
غديرُ ماءٍ تراءى في اسافلهِ خيالُ قومٍ تشوّا في نواحيهِ
فالرِّجل تنظر مرفوعاً اسافلها والرأس يُنظر منكوساً أعاليهِ

وقولهُ : « على ما فيهِ من كدر » حشو اللزوم (١) . اما ترى قول المعري :

واخلقُ كالماء يُبدي في ضمائرهُ مع الصفاء ويخفيها مع الكدرِ

واحسن من هذا كلهِ قولي :

خليليَّ ذي الدنيا الدنية لا يزل تعادي فتى حرٌّ شريف المناقبِ
اسافلها تعلو أعاليها كما يراهُ لبيبٌ عارف بالعواقبِ
اذا صُوِّرت للناس معكوسةً بدت فلا تعجبن والدهر بحر العجائبِ

انتهى كلام الخفاجي

وقال ابن سنان الخفاجي الحلبي (وهو غير الاول) :

طويتُ اليك الباخلين كأنني سريت الى شمس الضحى في النياهبِ

فاخذهُ ابو القاسم مادحاً من اجابةً واجازهُ :

لفظتُ ملوك الارض حين لقيتهُ فكنت كمن شقَّ الظلام الى الضحِ

وقال الصنوبري :

احمد الله قد الاحت بروقُ منك بالرد لا تزال مجيحهْ
حسنُ قولٍ وسوء فعلٍ كما شئ المسيُّ في وقت ذبح الذبيحهْ

فاخذ ابن الوردي منهُ قولهُ :

قد بليتا بمسيء قال الناس وصبحْ

---

(١) حشو اللزوم كناية عن الكلام الذي يستغنى عنهُ . وقد صنف الخفاجي كتاباً سماهُ « حشو اللزوم » يحسن الاطلاع الذي جاء فيهِ من ذلك ما يحسن ان يستغنى

فهو كحجر رمينا بذكر الله وبذكره

وقال المتنبي :

ولو قلمٌ ألقيتُ في شقِّ رأسهِ من السقم ما غيَّرتُ من خطِّ كاتبِ

وقال ايضاً :

كفى بجسمي نحولاً انني رجلٌ لولا مخاطبتي إيّاكَ لم ترني

ومعناهُ قول البحتوري :

ذبتُ حتى ما يستدلُّ على انني حيٌّ الاَّ ببعض كلامي

وقول ابن الفارض :

كهلال الشكِّ لولا انهُ أنَّ عيني عينهُ لم تأبَ

وقال الاعشى :

وكأس شربتُ على لذَّةٍ وأخرى تداويتُ منها بها

وقال ابو نواس :

دع عنك لومي فان اللوم اغراء ودواني بالتي كانت هي الداء

وقال عنترة العبسي :

وترى الذباب بها يغنّي سادراً هزجاً كفعل الشارب المترنمِ

ابدتْ لهُنَّ ذراعهُ بذراعهِ فعل المُكبِّ على الزناد الاجذمِ

وكان الجاحظ يقول : نظرنا في الشعر القديم والحديث فوجدنا المعنى يتقلب ويؤخذ بعضهُ من بعض غير قول عنترة في الاوائل واراد قولهُ في هذين البيتين . وقال الحصري : وقد تعاقب ابن الرومي بذيل قول عنترة وزاد معنى آخر عليهِ في قولهِ هذا :

وغرَّد ربعيُّ الذباب خلالهُ كما حثَّت النشوان صهباء مترع

فكانت اراتين الذباب هناكمُ على شدوات الطير ضربٌ موقَّعُ

وتلطَّف بعضهم باخذ هذا المعنى وسبكهِ بهذا القالب اذ قال :

فعلُ الاريب اذا خلا بهمومهِ فعل الذبابِ يرنُّ عند فراغهِ

فتراهُ يفرك راحتيهِ ندامةً منهُ ويُتبعها بلطم دماغهِ

وقال المتنبي :

يشق الرعب في قلب الاعادي فكأن القنا قبل التلاقي
وتكاد القضب لما عوّدوها تنتضي نفسها الى الاعناق

وقال ابو العلاء المعري :

تكاد سيوفه من غير سلّ تجدّ الى رقابهم انسلالا

وقال احد الشعراء :

كم وردةٍ تحكي بسبق الورد طليعةً تسرّعت عن جندِ
قد قسمها في الغصن قرس الزّادِ قسمٌ فمِ القبلةِ من بُعدِ

فاخذه محيي الدين ابن قيم بقوله :

سبقت اليك من الحدائق وردةٌ وأتتك قبل اوانها تطفيلا
طمعت بثغرك اذ رأتك بفمّت فيها اليك كطالبٍ تقبيلا

وقال ابن الزوي لمن لم يعطه جائزة على مدحه اياه :

ان كنتَ من جهل حقي غير معتذرٍ او كنتَ من ردّ مدحي غير متعتبِ
فأعطني ثمن الطرس الذي كتبت فيه القصيدة او كفّارة الذنبِ

فاخذه ابن مليك اخذاً ظاهراً بقوله :

مدحتكم طمعاً في ما اوّملهُ فلم انل غير حمل الاثم والتعبِ
ان لم تكن صلة منكم لذي ادبٍ فاجرة الخطّ او كفّارة الذنبِ

وقال آخر من نوع التفريق البديعي :

من قاس جدواك يوماً بالسحب اخطأ مدحكَ
السحب تعطي وتبكي وانت تعطي وتضحكَ

وقال ابن هند بمعناهُ :

من قاس جدواك بالغمام فما انصف في الحكم بين شيئينِ
انت اذا جدت ضاحك ابداً وهو اذا جاد باكيَ العينِ

وقال المتنبي :

وقد اخذ التمام البدر فيهم واعطاني من السقم المحاقا

فتابعه ابو الفتح البيغاء بقوله :

وليس من احدى الجانب التي فارقته وحييت بعد فراقه
يا من يحاكي البدر عند تمامه ارحم فتى يحكيه عند محاقه

وقال المتنبي :

لبسن الوشي لا متجملات ولكن كي يصن به الجمالا

فأخذه الصاحب وقال :

لبسن برود الوشي لا لتجمل ولكن لصون الحسن بين برود

وقال الشريف الرضي :

وبات ببرق ذاك الثغر يوضح لي مواقع اللثم في داجٍ من الظلم

فتابعه الوأواء الدمشقي بقوله :

يقمن لنا برق الثغور ادلة اذا ما ضللنا في ظلام الذوائب

وقال بعضهم :

شيئان لو بكت الدماء عليهما عيناي حتى يؤذنا بذهاب
لم يقض العشار من حقيهما شرخ الشباب وفرقة الاحباب

فاخذه ابو منصور الطاهري بقوله :

شيئان لو ان ليّ بيتلى بهما في غيلة مات من هم ومن كمد
فقد الشباب الذي ما ان له عوض والبعد بالرغم عن اهلي وعن بلدي

وقال ابن الرومي :

وواردٍ فاحمٍ يقبل محشاه اذا اختال مشية عذره

فاخذه ابو محمد المطراني وزاد فيه وحسنه بقوله من قصيدة :

ظبية اعارتها المها حسن مشيها كما قد اعارتها العيون الجاذرُ
فمن حسن ذاك المشي جاءت فقيلت مواطئ من اقدامهن الضفائرُ

عيسى اسكندر معلوف